(٤) الرواة أنفسهم مثال حماد وخلف الشيبانى وهؤلاء اتخذوا الرواية صناعة وكانت تدر على الكثيرين منهم المال ومن هذا الطريق دخل الوضع والكذب فى الرواية. ويروى ابن سلام شواهد هذا الوضع الكثير فى شعر عدى بن زيد وحسان وشعر الأسود بن يعفر وهو جاهلى. ويشير هنا بصدد هذا الوضع إلى أن الكوفة كانت لا تتحرى ولا تتحرز فى رواية الشعر فهم قد يروون للشاعر الواحد مائة وثلاثين قصيدة على حين لا يصح له البصريون ثمانين أوحو إليها (راجع هذه المسألة بالتفصيل فى تاريخ آداب العرب للرافعى جـ١).

وهذا النقد لأخبار القدماء وتحكيم العقل فى الأخبار المروية ظاهرة لها شأنها فى تاريخ العقلية العربية وكان ابن سلام فى هذه الطلعة فى البحث الأدبى العربى وعليه اعتمد الباحثون فى العصر الحديث فأحيوا آراءه التى أصبحت جزءاً من الطريقة العلمية فى البحث الأدبى على يد الدكتور طه حسين وغيره من باحثى الجامعة.

وننتقى من تراث الجاحظ البلاغى والنقدى هذه الرسالة فى أخلاق الكتاب والتى تدخل فيما يعرف اليوم بآداب المهنة وهو منحى طريف فى البحث البلاغى والنقدى ثلاث رسائل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٢٥هـ)، نشر يوشح فنكل، القاهرة ١٣٤٤هـ المنطقة السلفية

رسالة أخلاق الكتاب :

..... ومع ذلك إن منهج الكتابة بنى على أنها لا يتقلدها إلا تابع، ولا يتولاها إلا من هو فى معنى الخادم. ولم نر عظيماً قط تولاها بنفسه أو شارك كاتبه فى عمله... وكل كاتب محكوم عليه بالوفاء، ومطلوب منه الصبر على